39 - والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد ا عنده فوفاه حسابه وا سريع الحساب .

- 40 - أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل ا له نورا فما له من نور .

هذان مثلان ضربهما ا تعالى لنوعي الكفار فأما الأول من هذين المثلين فهو للكفار الدعاة إلى كفرهم الذين يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والاعتقادات وليسوا في نفس الأمر على شيء فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يرى فيه القيعان من الأرض من بعد كأنه بحر طام والقيعة جمع قاع كجار وجيرة وهي الأرض المستوية المتسعة المنبسطة وفيه يكون السراب يرى كأنه ماء بين السماء والأرض فإذا رأى السراب من هو محتاج إلى الماء يحسبه ماء قصده ليشرب منه فلما انتهى إليه { لم يجده شيئا } فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملا وأنه قد حصل شيئا فإذا وافى ا يوم القيامة وحاسبه عليها ونوقش على أفعاله لم يجد له شيئا بالكلية كما قال تعالى : { وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا } وقال ههنا : { ووجد ا عنده فوفاه حسابه وا سريع الحساب } وفي الصحيحين : " أنه يقال يوم القيامة لليهود ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد عزير ابن ا فيقال كذبتم ما اتخذ ا من ولد ماذا تبغون ؟ فيقولون : يا رب عطشنا فاسقنا فيقال : ألا ترون ؟ فتمثل لهم النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فينطلقون فيتهافتون فيها " (أخرجه الشيخان) وهذا المثال مثال لذوي الجهل المركب . فأما أصحاب الجهل البسيط وهم الأغشام المقلدون لأئمة الكفر الصم البكم الذين لا يعقلون فمثلهم كما قال تعالى : { أو كظلمات في بحر لجي } قال قتادة : { لجي } هو العميق { يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها } أي لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يعرف حال من يقوده ولا يدري أين يذهب بل كما يقال في المثل للجاهل : أين تذهب ؟ قال : معهم قيل : فإلى أين يذهبون ؟ قال : لا أدري . وقال ابن عباس ختم } : كقوله وهي والبصر والسمع القلب على التي الغشاوة بذلك يعني { موج يغشاه } هما B ا على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة } الآية . وكقوله : { وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة } الآية . فالكافر يتقلب في خمسة من الظلم : فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات إلى النار وقوله تعالى : { ومن لم يجعل ا له نورا فما له من نور } أي من لم يهده ا فهو هالك جاهل بائر كافر

كقوله : { من يضلل الله فلا هادي له } وهذا في مقابلة ما قال في مثل المؤمنين { يهدي الله لنوره من يشاء } فنسأل الله العظيم أن يجعل في قلوبنا نورا وعن أيماننا نورا وعن شمائلنا نورا وأن يعظم لنا نورا